الأدب في أسبوع

الأزهر

الأزهر — كما يجب أن نعرفه — إن هو إلا تاريخ مصرى عربى إسلامى كامل متتابع قد امتد على مدرجة التاريخ ألف سنة يجدد فيه ويتجدد به ، ويعيش عيشه هذا فى التاريخ كالمدد التلاحق الذى يستفيض بمادته لينشئ القوة فى روح الجيش المرابط وأعصابه وأفكاره وأعماله المجيدة . وهذا التاريخ العجيب الذى لا يزال حيا فى هذه الأرض ، هو كالتاريخ الإسلامى والعربى كله مجهول متروك لم تنفض عنه الحياة العربية الجديدة غبار السنين المتقادمة والأجيال المتطاولة التى تعاقبت عليه بالنسيان والإهمال والهجر . وإذا نظرنا إلى الأزهر على مقتضى هذه النظرة وبسبب من هذا الرأى — علمنا أنه كهذا التاريخ الإسلامى قد تعاورته القوة والضعف ، وحزت فيه سيما العلم وميسم الجهل ، وتتلئل فيه النبوغ الفذ السامى والنبوغ الشاذ النازل : النبوغ السامى الذى ارتفع بروحانية الشعوب الإسلامية وأخرجها من سلطان الشهوات والجهالات ، فمدت بذلك سلطانها على جزء عظيم من العالم ، والنبوغ النازل الذى هوى بروحانية هذه الشعوب إلى الجدل والفرقة والمذاهب والآراء الخاضعة لسلطان الشهوات العقلية المريضة ، فقلصت ظل هذا السلطان عن هذا الجزء العظيم من العالم

والأزهر — كان — مجتمع القوى المختلفة التى عملت فى إنشاء الحضارة الإسلامية والعربية التى عاشت فى التاريخ الماضى وملأته بالألوان المختلفة من مميزات هذه الشعوب الإسلامية المتباينة ، المتباعدة فى مطارح الأرض ما بين الصين إلى المغرب الأقصى . واستمر على ذلك مئات من السنين تتلوها مئات ، وكذلك مهدت هذه السنين للشعب العربى المصرى فى هذا العصر — عصر النهضة الجديدة فى الشرق — أن يكون هو قبلة الأمم العربية والإسلامية . وذلك لأن روح الشعب المصرى ، وثقافته الموروثة فى تفكيره وأخلاقه وطباعه ، وحضارته القديمة التى تبرجت على ضفاف النيل — هذه كلها ليست إلا خلاصة هائلة مصفاة من أرواح الشعوب الإسلامية كلها وثقافاتها وحضاراتها . وكان الأزهر هو المصدر الذى استمدت منه مصر هذا الفيض العظيم الجارى فى أودية التاريخ المتقدم ، لأنه هو كان الجامعة الوحيدة فى هذه الديار ، وكان أكبر جامعة وأعظمها فى سائر الديار العربية الإسلامية. وبهذه الخلاصة التى اجتمعت فى الأزهر ، ثم انتشرت منه فى أرجاء مصر قديما وحديثا استعد الشعب المصرى بطبيعته لأمر مقدور ، هو أن يكون زعيما للشرق فى عصر النهضة الجديدة ، لأن كل شعب من الشعوب العربية والإسلامية يرى فى هذا الشعب صورة من نفسه مكملة بألوان أخرى من صور سائر الشعوب التى تمت إليه بسبب من الدين واللغة والحضارة والثقافة والفكر والدم

ونحن نأسف إذ نرى الناس إنما ينظرون إلى الأزهر نظرة محدودة ضيقة لا تتراحب ولا تنفذ إلى حقيقة هذا التاريخ القائم فى أرض مصر . فهم يعدونه معهدا دينيا ، ويكون تفسير كلمة الدين هنا — على غير الأصل الذى يعرف به معنى الدين فى حقيقة الفكرة الإسلامية التى ختم الله بها النبوات والأديان على هذه الأرض . وهذا المعنى الجديد المعروف فى زماننا لهذه الكلمة كلمة « الدين » ليس إسلاميا ، لأنه لا يلائم روح الإسلام فى شىء ... كلا ، بل هو يهدم أعظم حقيقة حية أتى بها هذا الإسلام ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وليجعل الذين آمنوا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ويجعلهم الوارثين . وهذه الحقيقة الحية الجميلة هى جعل كل عمل من أعمال الإنسان المسلم فى الحياة عبادة تقربه إلى الله ... فليس البيع والشراء ، أو تدبير أمور الناس فى الملك ، أو العلم والتعليم ، أو تربية الولد ، أو الخدمة التى يؤديها الرجل لمن يخدمه ... ليست كل هذه الأشياء الاجتماعية فى منزلتها من الدين الإسلامى : إلا كالصلاة والصيام والزكاة وسائر الأعمال التى يفهم بعض الناس الآن أنها هى الدين حسب . فالأزهر الإسلامى هو الذى تتمثل فيه حقيقة الإسلام — أو يجب أن تتمثل فيه هذه الحقيقة — ، وتاريخه الماضى كان صورة صحيحة للحياة الاجتماعية الإسلامية بكل ألوانها وأنواعها ، مع ما كان قد عرض فيها من العيوب التى أدركت الشعوب الإسلامية وجعلتها تنزل عن المرتبة الأولى التى كانت لها فى تاريخ الحضارات السالفة

التى سبقت الحضارة الأوربية لهذا العصر. فلما هجمت علينا الحضارة الحديثة من أوربا بعواملها المختلفة ، وسياستها القوية التى تغلبت على كل سلطان فى الشرق ، ثم اندست العوامل الغريبة فى الأمم الإسلامية ، وعملت الأيدى العدوة عملها فى تمزيق الروابط بين طبقات الشعب ... رجع الأزهر إلى غيله يستتر فيه ، وقبع أهله عن صراع الحياة الجديدة صراعاً يراد منه لنظفر ، وكذلك سار الناس ناحية ، وسار الأزهر ناحية أخرى ، وكان ذلك أول البلاء على الأزهر وعلى الشعب نفسه !

اصلاح الأزهر

وقد أحس كثير من المصلحين من أهل الأزهر وغير أهله — ممن يعرفونه أصلاً كبيراً فى الحياة المصرية والعربية والإسلامية — بما تقتضيه طبيعة الموقف الذى صار إليه فى هذا العصر ، وبما توجبه حقيقة الدين الإسلامى ، فهبوا إلى إصلاحه والنظر فى شأنه مرة بعد مرة . وكان العمل لذلك شاقاً كثير المتاعب غير قريب المناقد ، فاضطربت الأيدى واختلفت الأغراض ، وسار هذا الزمن السريع بقوة واندفاع ، لا يملك معه المصلح الانطلاق فى آثاره على مثل سرعته واندفاعه وكذلك لم يزل الأزهر الآن فى منزلة غير المنزلة التى يوجبها له قيامه ألف سنة على التاريخ الفكرى والثقافى والعملى فى الحضارة الاسلامية

وقد كتب الأستاذ « الزيات » — فى فاتحة العدد الماضى من الرسالة — كلمته الجليلة « فى سبيل الأزهر الجديد » يطالب الأزهر بالرجوع إلى المنابع الأولى للدين واللغة والأدب والعلم. وحب « الزيات » للأزهر ، ورغبته فى المبادرة إلى علاج الأدواء التى تلبست به من أمراض الأجيال السابقة ، هى التى حملته على أن يكتب كلمته لتظفر مصر « بجامعتها الصحيحة التى تدخل المدنية الغربية فى الإسلام ، وتجلو الحضارة الشرقية للغرب ، وتصفى الدين والأدب من شوائب البدع والشبه والركاكة والعجمة »

نعم إن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر لم يقصر فى اجتهاده أن يجعل الأزهر مثابة للعلم الإسلامى الصحيح ، ولم يتخلف عن النصيحة له بما توحى به الرغبة الصادقة فى تحريره من آصار قديمة عاقته عن بلوغ غايته التى يحق له أن يبلغها . فقد وضع الأستاذ الأكبر من عشر سنين نظامه الجديد للكليات فى الأزهر وجعل أحد قسمى التخصص فى هذه الكليات موقوفاً على مادة من مواد الشريعة أو اللغة أو الأدب أو التفسير والحديث أو المنطق والفلسفة أو الأخلاق والتاريخ وعلم النفس وما إلى ذلك . وأمد هذه الكليات العالية — فى دراستها لما خصصت له — بالكتب الأصول المعتمدة فى بابها ككتاب سيبويه ، وخصائص ابن جنى ، وسر صناعة الإعراب لابن جنى ، وتصريف المازنى ، وكتاب فيلسوف النحو رضى الدين الاستراباذى صاحب شرح الشافية ، وشرح الكافية ، وهما عمدة أصحاب النحو والتصريف . وكذلك جعلت كتب عبد القاهر — دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة — ، وكتاب الصناعتين لأبى هلال ، وأدب الكاتب والكامل والأمالى وغير هذه من أصول الأدب واللغة هى مادة الدراسة فى هذه الكليات

وقد قام على التدريس فى هذه الكليات جماعة من خيرة من أنجبهم الأزهر فاستقلوا بتدريس هذه الكتب الجليلة خير استقلال ، فنرجو أن يظهر الأزهر الجديد بعلمه الجديد الذى استمده من الكتب الأصول ، وأن يعتمد فيما يستقبل من أيام نهضته كل الأصول الأولى فى تدريس الفنون المختلفة التى يقوم بينها بين أبنائه ومريديه وطلبته . هذا ونرجو أن تحقق روح الأزهر — التى تتصل بالشعب المصرى وسائر الشعوب الإسلامية — معنى الإسلام الصحيح الذى يطالب المسلمين بالسيادة والقوة والغلبة ، ولا يكون ذلك إلا يوم يتصل الأزهر اتصالاً تاماً بجميع ألوان الثقافات العالمية ، ليوجد للشعب المصرى والعربى والإسلامى ثقافة تضارع كل هذه الثقافات ، مبرأة من عيوبها التى فرضتها عليها البيئة غير الإسلامية التى نشأت تحت ظلالها وفى رعايتها

وأنا أكتفى بهذا القدر من القول ، وسأعود قريباً لأبدى بعض الرأى فى أنواع من الإصلاح تراد للأزهر وغير الأزهر ، أرجو أن تنال بعض الرعاية ممن يتولون شأن هذا الإصلاح

المجمع المصرى للثقافة العلمية

بدأت فى الأسبوع الماضى جلسات المؤتمر السنوى للمجمع المصرى للثقافة العلمية برياسة حضرة صاحب السعادة حافظ عفيفى باشا ، وهذا هو المؤتمر الحادى عشر لهذا المجمع العلمى الصامت الذى يجاهد فى إنشاء الثقافة العلمية العربية فى الشرق بما يسعه جهده وماله : والمجمع العلمى هو أهم ما يحتاج إليه الشعب العربى الذى ابتعد به الزمن عن متابعة النهضات العلمية المختلفة التى تجددت بالحضارة الأوربية الحديثة . وقيام هذا المجمع بنشر الثقافة العلمية — فى حدود طاقته — قد أوجد للأمة العربية ذخيرة عظيمة

تقع فى عشرة مجلدات ، كلها مباحث علمية عظيمة مكتوبة باللغة العربية مع قلة الاصطلاحات العربية العلمية التى تؤدى المعانى العلمية الجديدة التى لم تقرر لها بعد مصطلحات ثابتة فى مادة هذه العلوم

وهذا المجمع العلمى العظيم لا يلقى — مع الأسف — ما هو حقيق به من الحفاوة والاحتفال فى الأوساط الأدبية والعلمية التى توجب عليها مهمتها الشاقة إمحاض النصيحة للأمم العربية ، بتشجيع القائمين بأعمالهم الجيدة فى صمت وسكون ورفق . ومن أعجب العجب أن تعقد المحاضرات والمناظرات الكثيرة التى تعتمد أكثر ما تعتمد على الثرثرة ومضغ الأحاديث والنطق بمبذول الكلام ، وتجتمع لهذه المحاضرات والمناظرات فئات كثيرة من طبقات الناس ، وفى صدرهم كثير من أصحاب الأمر وعظماء الأمة ثم يعقد هذا المجمع مؤتمره مرة فى كل عام — فلا يلقى من هذه الفئات ولا من هؤلاء العظماء ما هو أهل له من المتابعة والاهتمام أو المجاملة إن شئت

وكان الظن أن تعمل وزارة المعارف والجامعة ونساثر المعاهد والوزارات التى يتناول المجمع — بعض ما يخصها أو يقع فى حدود أعمالها — بالبحث والدرس والتحقيق والكشف : كان الظن أن تمهد هذه له سبيل إبلاغ صوته إلى أكبر عدد ممكن من المثقفين ، تشجيعاً له وللقائمين عليه ، وطلباً للمنفعة التى تأتى من إثارة اهتمام هذه الجماهير بنتائج الأبحاث العلمية وأنواعها ، وضروبها المختلفة التى يقوم المجمع وأعضاؤه على إعدادها ومتابعتها والعمل على نشرها ، لتكون سبباً من أسباب اليقظة العلمية التى تقتضيها النهضة الحديثة فى الشعوب العربية

وقد جمعنى مرة مجلس فيه فئة من كبار الأساتذة فى بعض المعاهد العلمية العالية ، فلم أجد عند أحد منه خبراً يعلمه عن هذا المجمع ، فما ظنك بعمله أو إنتاجه أو غايته التى أريد لها إنشاؤه وتأسيسه ؟ وهذا أمر يؤسف له ، ويوجب على المجمع وعلى كل ذى رأى أن يعمل على تنبيه الوزارات والمعاهد إلى قيمة هذا العمل الذى يقوم عليه المجمع ، وإلى توجيه أنظار الناس إليه بكل سبيل ، حتى يستطيع أن يؤدى إلى الناس ما يرغب فيه من نشر الثقافة العلمية التى يحتاج إليها هذا الشعب فى كل أغراضه وأعماله ، وفى بعث الروح العلمية التى تكفل له القيام بالعبء الثقيل الذى يريد أن ينهض به فى بناء الحضارة الجديدة التى يتهيأ الشرق لوراثتها عن الحضارات التى هى فى سبيل إلى الهلكة والتدمير والبوار

هذا وقد بدأ المجمع مؤتمره لهذه السنة بالمحاضرة التى ألقاها الدكتور حافظ عفيفى باشا عن « الأصول العلمية الحديثة وتطبيقها على الزراعة » ، وقد عرض فيها لأهم ما يشغل الأسواق المصرية فى هذا الوقت ، وهو نظام الحاصلات والأسواق الداخلية ، فأبان كل البيان عن وجه المصلحة التى يجب أن يقصدها القائمون على أمر الشئون الزراعية فى هذه الأوقات العصيبة المنذرة بأشد الأزمات على الأسواق التجارية . ثم تبع ذلك بحث فى أهم ما يخاف منه وما تخشى عواقبه فى أزمان الحرب ، وهو تفشى الأمراض والأوبئة ، وما يجب على الشعب المصرى وحكومته أن تعمل على تفاديه بكل سبيل . فألقى الدكتور عبد الواحد الوكيل : « حاجة البلاد إلى تعديل خططها الطبية والصحية » ، وقد أبانت هذه المحاضرة عن هول الحالة الصحية التى تختفى فى كل ناحية من نواحى هذا الشعب المهمل المسكين

آلهة الكعبة

كنت قرأت فى البريد الأدبى من عدد الرسالة ٣٥٠ كلمة للأخ محمد صبرى فى قصيدة الأخ الشاعر محمود حسن إسماعيل ، ينكر فيها أن « اللات ، والعزّى ، ومناة » من آلهة الكعبة ، قال : « وليس واحد من هذه الثلاثة من أصنام الكعبة ، بل لم يكن واحد منها داخل الكعبة ولا حولها » . ثم استشهد قول ابن الكلبى فى كتاب الأصنام ، حين ذكر مواضع هذه الاوثان الثلاثة . وقد كان اعترض بعض أصحابنا قبل ذلك — فى مجلس الأستاذ الزيات — بمثل ما اعترض به الأخ صبرى ، فرُمتُ أن أقول : إن وجود هذه الثلاثة فى الكعبة أو حولها ليس يمتنع . وذلك لأن ابن سعد ذكر فى طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت — بعد فتح مكة — وهو على راحلته ، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا » . فيقع الصنم لوجهه . وابن الكلبى لم يعد لنا فى كتابه الأصنام غير أسماء ثلاثين صنما ، وزاد زكى باشا عليها خمسة وأربعين صنما ، فهذه خمسة وسبعون ، فأين هى من ثلاثمائة وستين ؟ . . . وما كانت كل هذه الأمة من الأصنام إذن — إن لم يكن منها اللات والعزى ومناة ، وهى أشهر أصنام الجاهلية ، وهى المذكورة فى القرآن فى سورة النجم ، وقد كان نزولها بمكة ؛ وما أظنها تذكر بأسمائها إلا وكفار قريش يعظمونها